تحية إلى الفنانين العراقيين

شاكر حسن آل سعيد، اسماعيل فتاح و نهى الراضي

مؤسسة خالد شومان
دارة الفنون
٢٠٠٤/١٠/٥ – ٢٠٠٤/١١/١٨

الفنانون المشاركون في معرض
«تحية إلى شاكر حسن آل سعيد، اسماعيل فتاح و نهى الراضي»

من العراق	من الأردن
رافع الناصري	سامر الطباع
محمود العبيدي	حازم الزعبي
سالم الدباغ	خالد خريس
سامر أسامة	سهى شومان
كريم رسن	محمود طه
إبراهيم رشيد	عزيز عمورة
علي طالب	
نديم كوفي	
هيمت محمد علي	
مها مصطفى	
حليم مهدي	

حين تحتفي مؤسسة خالد شومان - دارة الفنون بتجربة الفنانين العراقيين: شاكر حسن آل سعيد، إسماعيل فتاح ونهى الراضي، من خلال هذا المعرض- التحية الذي تقيمه، فإنما يجيء ذلك انطلاقا من إيمانها بالدور الكبير لهؤلاء الفنانين في الحياة الفنية والثقافية العربية، ويقينها الدائم بأن كل فنان أصيل بقدر ما هو إرث حضاري وإنساني لوطنه، فإنه إرث حضاري لأمته وللإنسانية في كل مكان.

لقد كان الفن دائما هو السعي الأصفى نحو جمال أنقى وحرية أطول جناحا ومستقبل طيب يليق بالبشر وأحلامهم، وقد كانت تجارب هؤلاء الفنانين أفقا مفتوحا على الأمل والإبداع ورحيلا مستمرا نحو ما هو أعمق وأكثر أصالة وطموحا باتجاه تطوير الفن والرؤى وانطلاقا نحو مناطق جديدة في الفن والروح.

إن احتفاء دارة الفنون بهؤلاء المبدعين ليس جديداً، فقد بدأ عام ١٩٩٠ مع اقامة معرض (سبعة فنانين عراقيين) في قاعة المركز العلمي الثقافي التابع لمؤسسة عبد الحميد شومان، وتواصل اللقاء بعد ذلك في معارض جماعية وفردية احتضنتها دارة الفنون، ومن خلال برنامج المحاضرات واللقاءات الفنية الذي أشرف عليه وساهم فيه الفنان شاكر حسن آل سعيد، وقد نُشرت نصوص هذه المحاضرات في أول كتاب فني تصدره دارة الفنون بعنوان (حوار الفن التشكيلي – محاضرات وندوات حول جوانب من الثقافة التشكيلية وعلاقتها بالفنون العربية والإسلامية) والذي شارك فيه أربعة وعشرون فناناً وباحثاً واستمر على مدى عامين.

تلتقي في هذا المعرض - التحية كما التقت دائما أعمال هؤلاء الفنانين الثلاثة، ويحتفي بهم وبأعمالهم عدد من الفنانين الأردنيين والعراقيين من خلال هذه الأعمال المعروضة والتي تشكل جزءا من مجموعة خالد شومان الخاصة وهذه النصوص النقدية التي كتبتها الناقدة والشاعرة مي مظفر حول تجربة الفنانين الثلاثة الراحلين.

دارة الفنون

شاكر حسن آل سعيد

في مساء خريفي من عام ١٩٦٩م، ولدى عودتي إلى الدار سيرا، استوقفتني لافتة على جدار المتحف الوطني للفن الحديث تحمل عنوان معرض للفنان شاكر حسن آل سعيد بعنوان «المعارج» . فدفعني فضولي إلى مشاهدة ما يمكن أن يكون عليه معرض فني حديث ذي مضمون أدبي روحاني.

كانت المجموعة في الطابق الثاني من المبنى القديم للمتحف الوطني، وكانت الإضاءة خافتة إلا من بقع ضوئية مسلطة على الأعمال المعروضة (ألوان مائية وحبر على ورق). كانت أعمالا تجريدية؛ نهر أزرق يخترق فضاء أبيض يشقه إلى نصفين خط أسود عميق ينطلق في حركة تصاعدية من أسفل اللوحة إلى أعلاها. أحسست باضطراب أمام هذه التكوينات التي التبس عليّ مغزاها بقدر ما فاجأني. تقدم مني شاكر حسن الذي كان يجلس على طرف من القاعة، وقدم لي شرحا لبحثه البصري، زادني إرباكا، لكنه كان أول درس عميق لي في الفن، وبداية صداقة متواصلة واكبتْ خلالها كل مرحلة من مراحل عمله.

الحوار مع شاكر حسن يسير وشاق، هادئ تارة واستفزازي في معظم الأحيان، ولكنه حوار غني بالمعرفة والرؤى. قد لا يسفر عن ملامح محددة ، ولكنه بكل تأكيد قادر على أن يزج محاوريه في بحر متلاطم يظل موجه يحرك الفكر والمشاعر، بل تظل ذبذباته تلاحق الفكر وتجرّه إلى حوار مع الذات لتأمل ما قاله الفنان لفظًا وما أشار إليه ضمنا. وذلك ما ينطبق بالتأكيد على أعماله بكل مراحلها حتى التشخيصية منها؛ ثمة مساحة فارغة لشيء سيولد، أو ربما هو موجود غير مرئي ككثير من الأمور المحيطة بنا. في أعماله قوة كامنة بإمكانها أن تؤجج فيضا من المشاعر والرؤى.

ثم شاءت الظروف أن نجتمع في حقبة التسعين في عمان وفي دارة الفنون على وجه التحديد. كنا نلتقي في كثير من الأحيان في المكتبة. رأيت شاكر حسن وهو يبحث في أدبيات الفن ويتصفح نظرياته الحديثة خاصة الدراسات البنيوية وما بعدها والتي توافقت نظرياتها مع تطور بحثه البصري والفكري، بل كانت مصدرا مهما لإغناء مشروعه للحفر في الزمن وقراءة التراث البصري والفكري لحضارة وادي الرافدين عبر امتدادها حتى الحاضر. وكثيرا ما رأيته يتوقف فجأة عن القراءة، يحنى رأسه ويعقد حاجبيه ويسرح في مضمون شيء قرأه فهز كيانه، وجرّه إلى التأمل. وهو دائما يخرج باستنتاجه الخاص جدا الذي يغذي رؤيته الفنية ويعزز مفاهيمه. من خلال هذه اللقاءات التي كثيرا ما كان يتخللها الحوار والنقاش، تنبهت إلى النزعة الانتقائية لدى شاكر حسن ووجدتها لا تقتصر فقط على توظيف العناصر البيئية في أعماله بل تشمل أيضا المعاني والأفكار التي يبلور من خلالها مفاهيمه ورؤاه بعد أن يتفاعل معها ويضيف إليها من خزينه الذهني والحسي. فكتاباته النظرية في فلسفة الفن تخضع للمنهج ذاته الذي تخضع له تكوينات لوحاته. فهو لم يكن يرى بعينيه فقط بل بكل جارحة من جوارحه؛ ينغمر في الموجودات التي تحيط به، أو في النصوص التي يطالعها، وحين يتلقف إشارة من المحيط أو تأسره جملة في النص، يتوقف ثم يبدأ بسبر أغوار ما وجد، يمعن النظر فيها ويحفر يحفر حتى يفقد طريق العودة ويتيه في مجاهل الشقوق. تنتهي أمامه المسافة ولا ينتهي البحث.

لقد عاش شاكر حسن دائما في فنه ولفنه، وجل مسعاه انصب في تحويل الوجود إلى قيم فنية إنسانية. لقد حاول أن يصور المرئي وغير المرئي؛ الملموس والمحسوس. تكويناته بجميع مراحلها تشي بهذه النزعة. وهي إذ تجلت بشكل ما في "المعارج" ثم في "الجدران"، فإن تجربة اللوحة المزدوجة، التي تشاهد من وجهيها، ربما تكون قد قرّبته من تحقيق الرؤية الشاملة، فجمع في آن واحد المحيط المرئي و"تقنياته" كما يسميها، أي العناصر المكملة للوجود كالذرات والحركة والصوت.

كان آخر لقاء لي مع شاكر حسن في البحرين حين جاء لحضور معرضه الشخصي الذي أقيم في قاعة الرواق خريف عام ١٩٩٨م. رأيته قبل يوم من الافتتاح واقفا يراقب عملية الإعداد للعرض. كان يرتدي دشداشة بيضاء وقد غمر البياض شعر رأسه ولحيته. كان حاضرا وغائبا؛ عيناه تائهتان تبحثان في الوجوه عن شيء غاب عنه، وصوته يتهدج في الحديث. لمحت رعشة واضحة في يديه حين ضمهما إلى صدره للتحية. وفي اليوم التالي للافتتاح غادر عائدا إلى العراق. لم يستطع أن يطيل إقامته. لعلها كانت بداية حالة من الكآبة الحادة التي دفعته في نهاية الأمر إلى العزلة ثم الاعتزال. وقرار الاعتزال، حسبما قال، يعني لديه الابتعاد عن الآخرين و : "يعني مخاطبة الذات كآخر.. إنه كيان مستقل. قد تكون هذه العبارة فلسفية أكثر من اللازم، ولكن ما يحدث في العالم من شرور تدفع الإنسان إلى الاعتزال ..الاعتزال هو حماية الآخرين من أخطائي".

لكن شاكر حسن، الذي ملأ الفضاء الثقافي العربي عامة والعراقي خاصة لأكثر من نصف قرن، من الصعب أن يغيب. فطاقته على تحريك قدرات الآخرين ستظل كامنة في تلك التفاصيل المغيّبة عن أنظارنا والمحيطة بنا، تلك التي أجهد الفنان نفسه لاقتناصها وتصويرها. بل لا أعتقد أن بوسع أي أحد منا أن يمر من أمام جدار متآكل وملطّخ دون أن يتجلى أمامه طيف الفنان.

مي مظفّر

عمّان: ٤-٤- ٢٠٠٤م

شاكر حسن آل سعيد (١٩٢٥- ٢٠٠٤)

ولد في السماوة - العراق عام ١٩٢٥، تخرج من دار المعلمين العالية (فرع العلوم الاجتماعية). درس الفن في بغداد وباريس وساهم مع جواد سليم في تأسيس جماعة بغداد للفن الحديث، وفي عام ١٩٧١ أسس تجمع البعد الواحد، وتفرغ للرسم بدءا من عام١٩٨٢.

المعارض الشخصية

أقام عددا كبيرا من المعارض الشخصية في العالم العربية وعواصم العالم، من بينها: (رؤى تأملية)- بغداد عام ١٩٧٤. (تأملات موضوعية) قاعة الرواق - بغداد. (تواشج العلامات) - باريس، معرض (ما بين دجلة والفرات)، قاعة معهد العالم العربي - باريس . معرض (سبعة فنانين عراقيين) ١٩٩٠ قاعة المركز العلمي الثقافي التابع لمؤسسة عبدالحميد شومان - عمان . معرض شخصي- ١٩٩٢، قاعة مؤسسة شومان - عمان.

كما نال جوائز كثيرة من بينها: الجائزة القومية، مهرجان كان سورمير، فرنسا ١٩٧٥. الجائزة الأولى للمهرجان العالمي، بغداد ١٩٨٦.

المؤلفات التنظيرية والجمالية:

البيان التأملي - ضد الترف الفني ١٩٦٦. الحرية في الفن ١٩٧٥. الأصول الحضارية والجمالية للخط العربي ١٩٨٨. دراسات تأملية ١٩٦٨. البعد الواحد ١٩٧٠. من تاريخ الحركة التشكيلية في العراق ، جزءان (٨١ - ١٩٨٨). من مستهلات المعارض الشخصية، عصر الفداء ١٩٨٣. تأملات موضوعية ١٩٨٥. حالة موضوعية ١٩٨٦. حوار الفن التشكيلي. إشراف وإعداد ١٩٩٥.

إسماعيل فتّاح

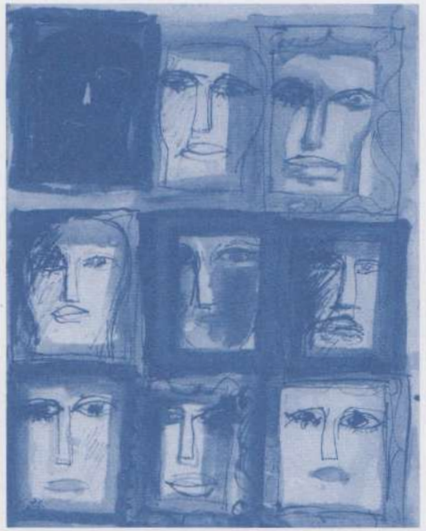

لم يشهد تاريخ الفن المعاصر في العراق إلا قلة من النحاتين المبدعين قياسا للأعداد الكبيرة للرسامين الذين ظهروا منذ بدء الحركة التشكيلية الحديثة قبل ما يزيد على سبعين عاما. فإذا كان جواد سليم (١٩١٩-١٩٦١) رائد الحداثة الفنية في العراق وضع النحت العراقي في طليعة الفنون التشكيلية العربية، وقدم بعده خالد الرحال (١٩٢٦-١٩٨٦) أعماله التي أكدت التواصل مع الروح المتفجرة للنحت العراقي القديم، فإن الأعمال النحتية لإسماعيل فتاح الترك دفعت بهذا المد الحيوي إلى مديات أبعد وأرحب. فهو واحد من أبرز النحاتين العراقيين المؤثرين الذين أثروا الحياة الفنية. وكان رساما مبدعا ذا طابع خاص.

لدى عودته من روما في عام (١٩٦٤) حيث أنهى دراسته الأكاديمية الفنية متخصصا بالنحت والخزف، في منتصف الستين من القرن العشرين، ، أقام إسماعيل فتاح (١٩٣٤-٢٠٠٤) أول معرض شخصي للرسم. كان مثيرا للدهشة والجدل بسبب ميل أعماله للاختزال الشديد في اللون والشكل. وحين انتقل بهذه الأعمال إلى بيروت في أول عرض له هناك، لقي ترحيبا كبيرا من الجمهور اللبناني وذاع صيته آنذاك. ومنذ ذلك الحين ظل يلهب الساحة الفنية بمشاريعه المثيرة للجدل سواء في مجال الرسم أو النحت. كان نحاتا بارعا أنتج أعمالا أكاديمية متقنة. وكان فنانا ذا رؤية إنسانية عميقة اخترقت جذور التاريخ من أجل امتلاك الشكل الذي يعبرّ من خلاله عن ديناميكية الشخصية بقدر ما يجمل مأساتها المتوارثة. وعلى الرغم مما حملت أعماله النحتية من مؤثرات أساطين الفن الحديث، جياكوميتي، في منحوتاته المبكرة، وهنري مور وكينيث أرمتاج في بعض مراحله اللاحقة، انفرد إسماعيل بشخصيته الفنية الأقرب إلى تراث النحت العراقي القديم حتى غدا بحق امتدادا معاصرا له. ومما يؤسف له أن بعض مشاريعه النحتية الكبيرة ظلت في انتظار أن تنفذ بعد أن حال دون تنفيذها انشغال العراق بأزماته السياسية وحروبه الطاحنة.

موضوعات الفنان إسماعيل الترك، رسما أو نحتا، هي موضوعات قليلة تكاد تقتصر على موضوع العشق الذي كان هاجسه الأول، متمثلا بهيئة رجل وامرأة، بتجليات متنوعة. كان الرسم لدى إسماعيل عملية تنفيس واستراحة من عناء النحت. وهو لم يتوقف عن الرسم فقد ظلت الوجوه ذات الملامح المعذّبة تلح عليه ويلح في تصويرها. وهي وجوه مبسطة ومؤسلبة، معاصرة وموروثة، تحمل أسى عميقا غامضا، وحسا دراميا لا يتناسب مع ظاهر شخصية إسماعيل المليئة بالتفاؤل والمرح.

كان الحب موضوع الترك الأثير الذي عبر عنه من خلال الرجل والمرأة، يتبسط في تصويرهما شكلا ويتعمّق مضمونا. تشهد على ذلك رسومه، على الورق أو القماش، بأحجام مختلفة كان ينفذها بالأحبار الملونة وغيرها من الألوان، فيصور رجالا ونساء عراة بكامل هيئاتهم أحيانا فيكاد الواحد منا يشعر بأن الجسد سيخترق الورق أو القماش ليخرج مجسما إلى المشاهد.

إنها أروع ما رسمت يد الفنان، بقوة تعبيرها وجمالياتها الأخّاذة. لقد صوّر الترك حالة الرجل والمرأة في وجودهما الأول، وبحرية متناهية أحيانا، فكان يجسد من خلال هذه الأشكال الأسطورية ما يوحي بأصل الخليقة وسر الوجود.

لم يكن ثمة من يخشى الموت كما كان يخشاه الترك، ويتلبسه التشاؤم لدى ذكر ما يوحي بالحدث الجلل. مع ذلك فقد كان أروع ما أنجز هو ذلك النصب الذي يكرّم فيه الأموات: نصب الشهيد بقبته الفيروزية (ارتفاعها ٤٠ مترا) المشطورة إلى نصفين. لقد بلغ فن إسماعيل فتاح ذروته في هذا العمل التجريدي الذي يشع بالروحانية والسمو.

لم نعرف إسماعيل إلا ضاحكا مرحا حرا في قوله وحركته. كان طاقة متفجرة، بجسده الممتلئ وضحكته التي تتردد في أرجاء المكان أينما حلّ. كان يقطع بغداد طولا وعرضا، كثير القلق، كثير الحركة، ودائما يحمل أفكاره الخلاقة وقدرته على استفزاز الآخرين ودفعهم إلى تقديم الجريء المبتكر: كان كائنا محلّقا، وباعثا على التفاؤل في الحياة حتى في أحلك الظروف. نهمه للحياة لم يتوقف، فقد تزوج مؤخرا من شابة بعمر حفيدته، أنجبت له طفلين أحدهما لم يبلغ السنتين.

كلماته الودودة التي تسربت منه إلى سماعة الهاتف وهو على سرير المرض في المستشفى في ابو ظبي، كانت كلمات وداع تفيض بالمحبة. وكانت المرة الوحيدة التي لم يعبر فيها عن مشاريع مستقبلية. لعله أراد أن يقول الكثير ولا شك. ذلك ما سيبقى مخزونا في ذاكرة الأرض، وبعض ما سيبقى في ذاكرة الأصدقاء، وما ترك لنا من نتاج يده العبقرية. فشأنه شان سلفه وأستاذه جواد سليم، كان غزير الإنتاج، موزع القوى. تهوره وجنونه وفوضويته ومحبته الفائضة وتسامحه وغضبه كله نابع من طبيعة العراق بقدراته وتناقضاته، بخيراته ودماره، بأفراحه ومآسيه.

في الحادي والعشرين من تموز ٢٠٠٤م، وصل إسماعيل فتاح الترك إلى بغداد، قادما من أبو ظبي، وهو في الرمق الأخير. طلب أن يلقي نظرة على بغداد من فتحة النافذة، وسرعان ما فارق الحياة مطمئنا إلى بقائه هناك. سرى طليقا إلى حيث سبقه قبل أشهر شاكر حسن آل سعيد، وكلاهما ترك على أرض العراق من الأثر ما لا تستطيع أشد جيوش الأرض همجية أن تمحوه.

كان آخر ما شاهدت له من نحت، مجموعة أشخاص عمالقة بالألوان، وكان ما يزال يعمل على تكوينها في دولة قطر لمشروع لم يستطع الانتهاء من تنفيذه بعد أن داهمه المرض الخبيث. وفي بغداد ترك ثروة كبيرة من أعماله، بعضها ما زالت غير كاملة، ستظل إلى جانب أعماله الشاخصة على أرض العراق، أو تلك الموزعة في أنحاء شتى من العالم في مجموعات خاصة وعامة، شاهدا على روحه المتفجرة بالحياة، وعلى تلك الخصوصية العراقية الممتدة لفنون وادي الرافدين.

مي مظفر

عمّان: أيلول ٢٠٠٤م

إسماعيل فتاح (١٩٣٤ - ٢٠٠٤)

ولد في البصرة - العراق عام ١٩٣٤، درس الفن في معهد الفنون الجميلة - رسم ونحت، بغداد وأكاديمية الفنون الجميلة - فرع النحت، روما، ومعهد سان جاكمو القسم المسائي في الخزف - اختصاص نحت فخاري، روما.

المعارض الشخصية

أقام عددا كبيرا من المعارض الشخصية بدءا من عام ١٩٦٢ في العالم العربي وعدة عواصم أوروبية، وشارك في معرض (سبعة فنانين عراقيين) ١٩٩٠ ومعرض (ثلاثة فنانين عراقيين) ١٩٩٢ في قاعة المركز العلمي الثقافي. مؤسسة شومان ومعرض (رسم ونحت) ١٩٩٥ في دارة الفنون. ونال جوائز عربية وعالمية من بينها: الجائزة الأولى للفنانين العرب في إيطاليا - مسابقة سان فيتا، روما ١٩٦٢. الجائزة الأولى في النحت للفنانين الأجانب في إيطاليا - مسابقة حي مركته للفنون، روما١٩٦٢ . الجائزة الأولى للنصب التذكاري للشعراء (الرصافي، الكاظمي والكرخي) ١٩٦٧ . الجائزة الأولى لمسابقة نصب تذكاري للرسام الواسطي١٩٧٢ . الفائز الأول لمسابقة نصب تذكاري للفيلسوف الفارابي ١٩٧٥، الفائز الأول بجائزة صرح الشهيد، بغداد ١٩٧٧.

نهى الراضي وكائناتها الفريدة

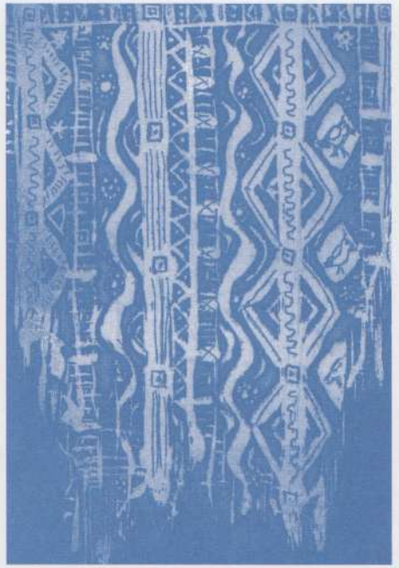

في الحادي والثلاثين من آب ٢٠٠٤م تسلل إلينا خبر رحيل الفنانة القديرة نهى الراضي من جراء سرطان خبيث في الدم لم يمهلها كثيرا. جاء رحيلها بعد مرور أربعين يوما على رحيل الفنان إسماعيل الترك، بعد صراع قاس مع السرطان. وقبلها بأيام احتفى الوسط الفني بعمّان بأربعينية الدكتور خالد القصاب، أحد جماعة الرواد وذاكرتهم التوثيقية الدقيقة، ولم تكد تمضي ستة أشهر على رحيل شيخ الفنانين شاكر حسن آل سعيد. فكأننا في حضرة موسم مولع بحصد المبدعين، مولع باجتثاث العلماء واستنزاف دم العراق شعبا وأرضا وتاريخا، بقوة السلاح والمرض!

رحلت عنا نهى الراضي (١٩٤١ – ٢٠٠٤) بسرعة مذهلة، لم تمهلنا الوقت الكافي لاستيعاب الحدث ومعايشته وقبوله. وكنا قد التقينا قبل ما يقرب من سبعة شهور في باريس، حيث جاءت نهى لتمضي إجازة تستريح فيها من التحضير لمعرض قادم. فلم تترك معرضا أو متحفا إلا وأمضت فيه جل وقتها. حيويتها الفائضة تجلت في تحركاتها التي لم تهدأ وبرنامجها المكثف. وردتها التي لا تفارق شعرها، وأساور الفضة التي لا تفارق معصميها، وعقود العقيق والفيروز التي لا تفارق عنقها، كانت دلائل عافيتها. كانت نهى ماثلة أمامنا بكامل حيويتها المعهودة، وحديثها المتحمس المتدفق في شؤون الفن والحياة، وحسرتها على عراق ينهش من كل جانب. لا أستطيع أن أقول إنني لمست نحولا في جسم نهى، فهي رشيقة دائما، ميالة إلى ارتداء ألبسة فضفاضة مريحة بألوان زاهية، فلم ألحظ أي تغيير، ولكنني لاحظت شيئا من التكلف في طريقة مشيها عزوته إلى ضعف مزمن في العظام طالما شكت منه. وكانت نهى على علم بالسرطان الذي يتفشى في دمها منذ عامين، ومدركة بأن فسحة الحياة أمامها قصيرة جدا. مع ذلك بدا عليها كما لو أن أمامها من السنوات ما يكفي لتنفيذ عشرات المشاريع الابداعية.

من يعرف نهى الراضي يعرف أي جوهر نقي كانت تملك هذه الفنانة، وأي روح وهاجة. ولعل ذلك كان سر انجذاب الكثيرين إليها من شخصيات فكرية وفنية عربية وعالمية. هي، التي جعلت من الفن ملاذا لوجودها ومرآة نقية لشخصيتها الفريدة، كانت بحق جسرا سالكا بين العراق الساكن في وجدانها، إرثا وحضارة وشعبا، وبين تراث الشرق الذي وجدت فيه نموذجا يحتذى، والغرب الذي اكتسبت منه علومه وتقنياته الفنية. أمضت نهى طفولتها في الهند، حيث كان والدها سفير العراق لسنوات طويلة، وتلقت تعليمها في المدارس الإنجليزية هناك قبل أن تنتقل إلى لندن وتكمل تعليمها التخصصي في فن الخزف، ثم تستقر في بغداد.

نهى الراضي فنانة تجلت موهبتها في فن الخزف، وكانت خزافة من الطراز الأول بين الخزافين العراقيين والعرب لتكامل صنعتها، وطرافة الأفكار التي كانت تستوحيها من الموروث المحلي وتصوغها صياغة أخاذة في جمالها. في الهند تفتحت نهى على التراث الثقافي والشعبي الهندي الغني، وإعادة إنتاجه في الفن. نشأت في وسط ثقافي، ودأبت منذ صغرها على الاتصال بالآثار العراقية أينما وجدت في متاحف العالم، وتوثقت صلتها فيما بعد بأعمال التنقيب من خلال مرافقتها لشقيقتها عالمة الآثار المعروفة الدكتورة سلمى الراضي. لقد وضعها ذلك الوعي المبكر بالموروث المحلي والشرقي على الطريق الصحيح للتميز في وقت كانت الأنظار فيه لا تتطلع إلا لحضارة الغرب.

وفي دراستها الفنية في لندن تمرست نهى على استخدام التقنيات الحديثة واكتسبت الجرأة في الابتكار وحرية الطرح. وظلت أعمال نهى تفاجئ جمهور الوافدين إلى معرضها بجدة طرحها، وطرافة موضوعاتها وإحساسها العالي بالجمال. غير أن نهى، وفي مطلع عقد الثمانين من القرن الماضي، صحت ذات يوم لتتخذ قرارا خطيرا شكّل منعطفا هائلا في حياتها الفنية، وهو قرار لا أعرف أن فنانا عربيا تجرأ على اتخاذه من قبل أو من بعد. لقد قررت نهى أن تتخلى عن فن الخزف مدركة أنها وصلت إلى نهاية الطريق، قائلة: "لم أعد أملك القدرة على التعبير، وعليّ أن أجد طريقا آخر". وبكل جرأة تنازلت عن موقعها الريادي، لتعود ثانية إلى أول الطريق وتقف مثل تلميذة مبتدئة تتهجى أبجدية اللغة الفنية، تتمرن على الرسم، وتتعرف إلى فنون الخط واستخدام الزيت وتقنيات التصوير. وسرعان ما وجدت نهى شيئا من ضالتها في فن الحفر والطباعة (غرافيك)، وبدأت تمارسه أينما سنحت لها الفرصة، في محترف رافع الناصري في بغداد أولا، ثم في محترف دارة الفنون في عمان، ودائما برفقة الفنانين العراقيين.

الفن لدى نهى كان طريقة حياة، فلا تدخل مضمارا إلا وكانت شخصيتها تتحكم فيه. في فن التصوير لجأت نهى إلى موضوعات أثيرة إلى نفسها: تصوير الناس المحيطين بها، والطبيعة التي تعشقها وتبتدع مفرداتها باستيحاء من مشاهد طبيعية عراقية، وبرؤية تعيد اكتشاف المشهد من ذاكرة خلاقة. وقادها عشقها إلى أن تشيد دارها وسط بستان غني بأشجار النخيل والبرتقال والنارنج والرمان، في شمال بغداد. وهي الدار التي عايشت فيها أحداث حرب الخليج الثانية، وسجلت في كتابها الشهير "يوميات بغداد" مفردات حياة يومية في أدنى حالاتها الإنسانية، تحت وطء الحصار و القصف الشديد.

أنتجت نهى مجموعة أعمال تصور مشاهد متخيلة من الطبيعة، وصورا لأصدقاء تتمثلهم دائما داخل مشهد طبيعي، فيه الكثير من الطرافة، وبمسحة مقاربة للفن الفطري. وقد يحار الناقد في تصنيف هذه الأعمال وتقويمها، غير أنه لا يخرج إلا بقناعة واحدة: تلك هي نهى الفنانة التي تعبر عن شخصيتها الفريدة من خلال فنها أيا كانت وسيلته. وإذ اعتادت نهى التعبير بالأشكال المجسدة، ثلاثية الأبعاد، وتمرست على مصاحبة رحلات الاستكشاف الآثارية، ولامست التاريخ بيديها، وقلبت أحجاره كانت قادرة على التوصل إلى لغة بديلة تستنبط مفرداتها من الأرض. وتحقق لها ذلك من خلال استخدام الأحجار التي بحثت عنها في بغداد وعمان وبيروت، أو أينما حلت في عواصم العالم. فانطلقت تجربتها الجديدة في استخدام الحجر وتلوينه وتركيبه، وصقل سطوحه، وإضفاء ملامح بشرية أو غير بشرية على مفرداته. في هذه التجربة وجدت نهى نهجا توافقيا ما بين فن الخزف وفن الرسم. بل عادت بشكل أو بآخر إلى استنطاق الطبيعة، وإعادة انتاجها برؤية نابعة من إحساسها بالانتماء إليها والتعامل معها تعاملا مفرطا في إنسانيته.

لكنها، وقبل تلك المرحلة كانت قد توصلت إلى لغة تعبيرية أخرى وجدت مفرداتها في قطع الغيار التالفة للسيارات أو ما يصل إلى يديها من مواد معدنية مهملة كانت تلقاها على قارعة الطريق. إذ أوحت لها هذه الأشكال، التي قدمتها في معرض شخصي في بغداد أولا، ثم في عمان لاحقا (دارة الفنون صيف ١٩٩٥)، ما يمكن أن يكون قد آل إليه حال شعب محاصر بين قبضة داخلية جبارة، وقبضة خارجية لم تقم للإنسانية أي اعتبار. لقد تحول العراقيون في الداخل إلى أشكال مفرغة تالفة، ناهيك عن نظرة الفزع والأسى المنبعثة من ملامح هذه الكائنات التي صورتهم الفنانة على أنهم "ناسها". وبهذه الرؤية قدمت عملا مكونا من هذه الأشكال الغريبة وهي تمضي في مسيرة احتجاجية صامتة.

رحلت نهى بسرعة مذهلة، وتركت بين أيدينا رصيدا هائلا من الذكريات الجميلة والأعمال العذبة. كانت نموذجا فريدا بين العراقيين. عاش العراق في وجدانها، وسالت مشاهده الغنية من بين أصابعها.

ومع اشتداد سنوات الحصار، وبعد صدور كتابها ذائع الصيت "يوميات بغداد"، اختارت نهى الإقامة في بيروت، المدينة التي امضت فيها الفنانة بعضا من سنوات شبابها (١٩٧١-١٩٧٥) تدرس فن الخزف في الجامعة الأمريكية، وشهدت أول معارضها الخزفية، وراج اسمها في فضاءاتها الفنية قبل أي مكان آخر. وفي بيروت انطفأت شعلة روحها الوهاجة.

مي مظفر

عمّان ٤ أيلول ٢٠٠٤م

نهى الراضي (١٩٤١- ٢٠٠٤)

ولدت في بغداد عام ١٩٤١، درست الفن في معهد (بيامشو) للفنون الجميلة، ومعهد (تشلسي) للخزف في بريطانيا. عملت بالتدريس في الجامعة الأمريكية في بيروت (١٩٧١ – ١٩٧٥). وفي عام ١٩٩٠ «تخلت عن موقعها الريادي في فن الخزف» وبدأت بالرسم والحفر (كرافيك) وتكوين مجسمات باستخدام مواد مختلفة، وفي عام ١٩٩٨ نشرت كتاب (يوميات بغداد) بالإنجليزية الذي كان له صدى واسع.

المعارض:
أقامت عددا كبيرا من المعارض ابتداء من عام ١٩٦٤في جاليري الواسطي ببغداد ، ومتحف الفن الحديث ببغداد عام ١٩٧١، وفي جاليري"Contact" ببيروت عام ١٩٧٣وجاليري "Epréuve d'artiste" ببيروت عام ١٩٩٦ وعام ١٩٩٩ . وفي جاليري آلف (آ) بواشنطن عام ١٩٩٠ وفي دارة الفنون عن «فن الحصار» عام ١٩٩٥ .
كما وشاركت في العديد من المعارض الجماعية في الوطن العربي والخارج.

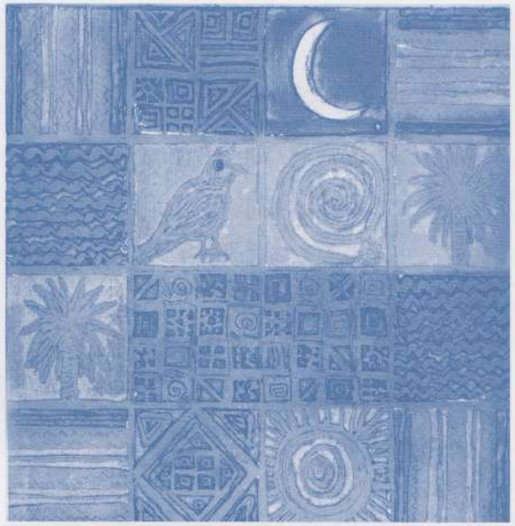

The Khalid Shoman Foundation - Darat Al Funun, P.O. Box 5223, Amman 11183, Jordan
Tel.: 4643251/2 Fax 4643253 • Website: http://www.daratalfunun.org • E-mail: darat@cyberia.jo